من مظاهر التماسك النصي في

القصص القرآني

الحذف في سورة يوسف نموذجاً

زيد شهاب العامري

د. هشام سليمان اليوسف

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلة الآداب، م٢٦، ع٣، ص ص ١٦٥ - ١٨١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٤م/١٤٣٥هـ)

من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني: الحذف في سورة يوسف نموذجاً

◆زيد شهاب العامري ◆◆ هشام سليمان اليوسف

◆باحث أكاديمي، قسم اللغويات، جامعة أدليد، أستراليا ◆◆أستاذ مساعد، قسم اللغة الانجليزية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٤٣٤/٦/٣هـ وقبل للنشر في ١٤٣٤/١٠/٣هـ).

الكلمات المفتاحية: الحذف في القرآن، سورة يوسف نموذجاً، التماسك النصي، الوحدة الموضوعية، الإحالة الضميرية، علم لغة النصي.

ملخص البحث: تتناول هذه الدراسة ظاهرة الحذف في القصص القرآني، منطلقة من أن النص ليس بناء لغويًا فحسب، بل هو تفاعل بين مُخاطَب ومُخاطِب يتم عبر نصوص تحكمها آليات نحوية وغيرها. على أن للآليات النحوية مقاماً مهمًا وأساسياً في صياغة النص، من حيث البناء السطحي (تماسكه Cohesion) من جهة، ومن حيث البنية المفهومية (اتساقه Coherence) من جهة أخرى. وستحلل الدراسة سورة يوسف لتبيان أثر الحذف في ترابطها وتماسكها، على اعتبار السورة نصاً تترابط أجزاؤه بإحكام عبر آليات الربط النحوي و المعجم؛ لأن لسانيات الجملة، بتركيزها على المفردة، لم تول، في دراستها لظاهرة الحذف، العلاقة العضوية بين أجزاء النص الأهمية المطلوبة. وستركز الدراسة على الحذف النصي أساساً؛ لأن هناك أنواعا أخرى من الحذوفات تُفسر وفقا لآليات الصناعة النحوية أو لمقتضيات سياق الحال. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الوحدة الموضوعية للسورة واستثمار الإحالة الضميرية فيها ساهما كثيرا في تماسكها النصي من خلال تقليص دور الحذف.

❖ بدعم من مركز البحوث بكلية الآداب.

مقدمة:

يعتبر موضوع ظاهرة الحذف في القرآن من بين المواضيع التي أولاها اللغويون، من نحاة وبلاغيين، اهتماما كبيرا. وظاهرة الحذف عامة في كل اللغات، لكنها تختلف اختلافاً شديداً فيما بينها من حيث مجالات استعمالها وطرق وقوعها (Solimando, 2011:69). و هي في العربية أكثر وضوحا من غيرها؛ لأن العربية تتميز بميلها الشديد للإيجاز الذي لايؤثر في وضوح المعنى (حمودة، 1999: ٩). ولأن العربية لغة تكثر فيها الصور المجازية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالإيجاز، ووجدنا أن الحذف كان شائع الاستخدام في جميع أنواع البيان العربي، شعرا ونثرا، قبل الإسلام (عطية، 1997: 49)، ولذلك جاء القرآن مستخدماً نفس أدوات

اللغة ووسائلها المستعملة في التخاطب والتواصل، ولكنه ارتقى بها ارتقاء لغوياً ودلالياً وبلاغياً بحيث صار تحديا للعرب على الإتقان لإتيان ببعض ما أتى به القرآن.

تأتي هذه الدراسة محاولة لفهم الحذف في القصص القرآني، وسورة يوسف (عليه السلام) على وجه التحديد، في ضوء لسانيات النص حسب المفهوم الغربي. واتخذت من مفهوم هاليدي و حسن (١٩٧٦) عن أدوات تحقيق التماسك أساسا لها؛ لأن الحذف، وفقا لمفهومها، هو أحد أهم هذه الآليات في بناء النص، خاصة وأن دليله (أي الدليل المقالي) موجود داخل النص. بمعنى آخر، تسعى الدراسة لاختبار مفهوم النص لغويا و إمكانية تطبيقه على القصص القرآني؛ وهي حسب علمنا أول دراسة تتعرض لسورة يوسف في هذا الجانب.

وتنطلق دراستنا من افتراض قائم على أمرين هما: كلما تعددت موضوعات السورة القرآنية كثرت الحاجة إلى الحذف، والعكس صحيح؛ وثانيا: كلما استثمرت الإحالة الضميرية تقلص دور الحذف.

١- معنى الحذف لغة واصطلاحا

يدور لفظ الحذف في اللغة على معانٍ ثلاثة: القطع (ابن دريد، ١٩٨٧: ٥٠٨) والإسقاط و القطف (ابن منظور، ١٩٩٩: ٩٣/٣- ٩٤). وتحصيل المعنى هو أخذ شيء من شيء إما بقطفه أو قطعه أو إسقاطه. على أن التعريف الاصطلاحي للفظ ركز على الإسقاط، فأصبح الحذف حسب اصطلاح علوم العروض والصرف والنحو يدل على إسقاط خاص (الجنابي، 2009: 18). ولأن دراستنا تركز على النص، أي التركيب اللغوي، دون سواه، فمفهوم الحذف هنا يشير إلى إسقاط لفظة أو جملة أو أكثر من جملة من الكلام، أي تعلقه بالتركيب اللغوي بين أجزاء الكلام (عبدالمطلب، 1994: 322). و يعني ذلك إسقاط بعض صيغ النص التركيبي المفترض وجودها نحوياً في بعض المواقف اللغوية لسلامة التركيب (أبو المكارم، 2008: ٢٠٠). ومن هنا تتضح أهمية مقامه في التركيب في حالتي الذكر والإسقاط (جاد الكريم، 2006: 39)؛ لأن الأمر يعود إلى أن "إبداعات الحذف لا تظهر في ثنايا التركيب إلا بوضع الذكر في الاعتبار" (عطية، 1997: 42). ويعتبر الحذف أداة مهمة في التحليل الوصفي والتحليل الوظيفي للغة؛ لأن تعيين المحذوف وتقديره يسهم في تبيان الخواص التركيبية والنحوية للنص اللغوي(Solimando, 2011:70). وأخيرا يعتبر الحذف أحد أساليب التأويل النحوي التي استخدمها النحاة في تسويغ الاختلاف بين نصوص اللغة وقواعدها النحوية (المرجع نفسه).

وأوّل من تكلَم عن الظاهرة هم النَحاة الذين انطلقوا في ظاهرة الحذف من قاعدة أساسها أن الأصل في الكلام الذكر؛ وفي هذا الخصوص يعتبر سيبويه (ت ١٨٠ ه) في مقدمة النحاة الذين تناولوا ظاهرة الحذف في الكتاب، مؤكداً على دور المتلقي في فهم المحذوف طلبا للخفة ولكثرة الاستعمال (١٩٨٨: ١/ ٢٢٤). ولقد اقتفى أثر سيبويه النحاة الذين جاءوا بعده من علماء القرن الثالث الهجري، مثل: الفراء (ت٢٠٧ه)، وابن قتيبة (ت٢٧٦ ه)، والمبرد (ت ٢٨٨ ه)، وثعلب (ت ٢٩١ ه).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

١- ١ الحذف عند النحاة:

كان انشغال النحاة منصباً على تبيان مواقع الحذف وكيفية تقدير المحذوف وشروط الحذف التي توسع فيها ابن هشام الأنصاري (٢٠٠٠: ٦/٣١٧- ٥٣٨)؛ التي أشار إليها جميع من جاء بعدهُ من اللغويين والبلاغيين على حد سواء، بل لا يخلو أي بحث عن الحذف من ذكر لهذه الشروط. ومن أهم الشروط التي وضعها النحاة للحذف هي: وجود دليل يدل "على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبه حالية أو عقلية أو لفظية"، يفهم من سياق الكلام وحال المتكلمين، فضلاً عن وضوح المعنى وأمن اللبس (جاد الكريم، 2006: 39؛ حمودة، 1999: 115) . وفي هذا الصدد يقول ابن جني"قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، الحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته" (د.ت :٢/ 360).

إلا أن شروط ابن هشام، حسبما يعلق طاهر سليمان حمودة، "بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتفصيل وتتبع الظاهرة اللغوية في مواضعها في اللغة دون الاقتناع بالأقيسة العقلية التي تخالفها اللغة في كثير من الحالات" (1999: 115). ويقول أحمد عفيفي (1996: ٢٧٤) أن النحاة تناولوا الحذف تناولاً غير منهجي قام على الرصد دون التحليل الذي يغوص في أعماق الظاهرة.

١- ٢ الحذف عند البلاغيين:

أما اهتمام البلاغيين فكان منصباً أساساً على توضيح الأغراض، لدرجة أن عنايتهم بها فاقت عناية النحاة، وهو ما عناه ابن هشام بضرورة فصل الدرس النحوي عن البياني (حمودة، 1999: 97). والحذف عندهم هو أحد أبواب الإيجاز والاختصار، إذ يختفي وراءهما العديد من الأغراض التي لايريد المتكلم أن يصرح بها (الجنابي، 2009: 26). واللافت للنظر أنه قبل القرن الرابع الهجري لم يكن هناك تفريق بين مصطلحي الإيجاز والاختصار (Rahman, 2000:286). ويقسم البلاغيون الإيجاز إلى إيجاز قصر، الذي لن نتطرق إليه، و إلى إيجاز حذف وهو محل دراستنا. ويقلل مصطفى أبو شادي من أهمية الحذف بالإيجاز، فيقول إن القرآن مليء بالأساليب الموجزة غاية الإيجاز دون أن يتوصل إلى تحقيق هذا الهدف بالحذف (1992: 9).

وكانت غاية البلاغيين من تركيزهم على الأغراض، إظهار قيمة الحذف الفنية الجمالية من جهة، وتبيان أهميتها في إعجاز القرآن من جهة أخرى، خاصة بعد القرن الرابع الهجري. فمثلاً الحذف عند الجرجاني هو أحد أدلة الإعجاز القرآني، ويعتبره من أساليب إغناء التعبير "وأن رُبَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد. فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال، ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به" (عبد القاهر الجرجاني، ١٩٨٤: ١٥١). بمعنى آخر إن نظرة البلاغيين لم تكن موجهة "إلى كم التركيب أو قصره أو طوله أو إلى العامل أو المعمول أو تقدير المحذوف، بل كان مجالها الأسلوب وحسن العبارة، ووقع ذلك في نفس السامع هي الأساس لتناول البلاغيين للحذف" (جاد الكريم، 2006: 42) .

وهذا يعني أن "الأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفسادا له" (عبدالمطلب، 1994: 313)، وإلى ذلك أشار عبد القاهر الجرجاني (١٩٨٤: ١٤٦) بقوله إن "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".

وقد حدد البلاغيون سياقات الحذف بعد عبد القاهر في شكل إطارات ثابتة تنضوي تحت شرطين أساسين: الأول وجود دليل على المحذوف من القرائن، والثاني وجود السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر (عبد المطلب، 1994: 322-323)؛ لكنهم لم يدركوا أهميته في تماسك النص، بل فسروا وظيفته بمصطلحات، من مثل عدم تعلق غرض بذكره، ولا هو موطن الاهتمام والعبرة، أو أن إيضاح الواضح إطالة غير مستحبة (حسان، 1993: ٥٦٠؛ السامرائي، 2007: ١٠٠). وأخيرا فظاهرة الحذف شائكة لصعوبة الإمساك بها بفعل تداخل البعد النحوي بالبعد البلاغي واللغوي بالنظري (برامو، ٢٠٠٦: ٤٣).

٢- الحذف وسيلة تماسك نصي

٢-١ مفهوم النص: :

سنتعرض إيجازاً لمفهوم النص في اللسانيات المعاصرة حصراً. وهنا نلحظ أمرين، أوَلهما إشكالية التعريف، فتعريف النص" أمر صعب؛ لتعدد معايير هذا التعريف ومداخله ومنطلقاته" (الزناد، 1993: 11) لأن حظ النص ليس بأفضل من حظ الجملة " فثمة اختلافات شديدة تصل إلى حد التناقض أحيانا والإبهام أحياناً أخرى" (بحيري، 1997: 99-118). ويقول أحمد عفيفي "إننا نحدد ملامح النص ونصفه ولا نعرفه من خلال تصور عام على أنه بنية شمولية لبنى داخلية من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص" (2001: 29). أما الأمر الآخر، فهو تميز تناول هاليدي و حسن (1976) لمفهوم النص، الذي أدى إلى تداوله على نطاق واسع بين الباحثين (عوض، 1994: 81)؛ لأن مفهومه عندهما قائم على أنه وحدة مترابطة الأجزاء، وذات صلة وثيقة بالمعنى أكثر من صلته بالبنية التركيبية المؤلفة من مجموعة جمل، سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة. وهذا يعني أن النص عبارة عن وحدة دلالية تحكمها علاقات وظيفية تتحقق عبر وسائل التماسك التي تضفي على النص وحدته التركيبية والمعنوية، ولهذا فكلمة النصّ في علوم اللغة تستعمل "للإشارة إلى أيّ مقطع، منطوقا كان أم مكتوبا، ومهما كان طوله، ليؤلّف كلاً موحدا" (Halliday & Hasan, 1976 :1). من هنا يتبين إذن أن النصّ عند هاليدي و حسن لا يتعلّق بالجمل، بل يتحقّق بوساطتها؛ ولهذا نجدهما أكدا البعد الوظيفي للنصّ من حيث كونه "اللغة التي تخدم غرضاً وظيفياً، أي غرضاً في إطار سياق ما" (Halliday & Hasan, 1989:10).

ويمكن النظر للنص، بسبب طبيعته الدلالية، من خلال بعدين: الأول باعتباره منتج (product) يمكن دراسة بنيته بصورة منهجية واضحة؛ وثانيا باعتباره عملية إنتاج (process) يتصف خلالها بكونه سلسلة متواصلة من الاختيارات الدلالية، بحيث إن كل حلقة اختيارات معينة

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشكل وتهيء الأرضية التالية لحلقة اختيارات إضافية (Halliday & Hasan, 1989 : 10).

فالنص إذن، هو كل مترابط الأجزاء، بحيث يؤدي الفصل بينها إلى عدم وضوحه، كما يؤدي عزل أو إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم الفهم. ويتعلق هذا التصور بمفاهيم الربط النحوي ووسائله والتماسك الدلالي ووسائله والسياق التركيبي وعلاقته باكتمال الأبنية (بحيري، 1997 : 108).

٢- ٢ التماسك

بداية، نلحظ وجود بلبلة مصطلحية في عرض مفهوم التماسك (Cohesion) فبعضهم يجعله مشتركا مع مفهوم الاتساق (Coherence) ويقسمه بالتالي إلى تماسك نحوي وآخر دلالي (بحيري، 1997 : 122). وآخرون يطلقون عليه لفظ الاتساق (خطابي، 1991 : 5)، والانسجام (الأزهر الزناد، 1993: 15) والربط النحوي- السبك أو الالتحام (تمام حسان، ١٩٩٨ : ٣- ٥٩).

يدور هذا المصطلح في الدراسات اللسانية النصّية حول البنية السطحية للنصّ التي تهتم بمعرفة شبكة العلاقات النحوية – المعجمية وتبيانها، فضلا عن علاقات أخرى على المستوى السطحي للنص من حيث العلاقات التي تقيمها أدوات التماسك الرابطة لأجزاء النص؛ أي العلاقات والروابط التي تؤلّف بنية النصّ. وأخيراً، يمكن القول إن النص هو مجموعة الموارد اللغوية الموجودة في كل لغة والمستخدمة لربط أجزاء نصٍ ما ببعضها بعضا: (Halliday & Hasan, 1989, 48). على أن وجود أدوات التماسك لايعني أن النص أصبح مفهوماً وذا معنى- أي متسقا- ؛ لأن دور هذه الأدوات لاينتهي بإقامة الرابطة بين أجزاء النص، بل عليها أن تقوم بتوضيح العلاقات المفهوميَة وعرضها، و هو ماأشار إليه هاليدي و حسن بقولهما أنه مفهوم دلالي يشير إلى علاقات المعنى الموجودة ضمن النص التي تعطي للنص كيانه النصي (Halliday & Hasan, 1976:4). أي أنه ليس مجرد خاصّية ترتبط بالبنية السطحية للنصّ في مستوياتها النحوية/المعجمية فحسب، بل هو علاقة دلالية مثلها مثل كل مكونات النظام الدلالي تنتج من خلال عمل نحوي معجمي بشكل واسع، ويمثّل إدراكاً تلقائياً للخيارات الدلالية (المرجع نفسه : ٦). إذن هو يشير إلى حد الإمكانيات الموجودة لربط شيء بشيء قبله، حيث يتحقق هذا الربط عبر علاقات في المعنى. بمعنى آخر سلسلة علاقات المعنى أو الموارد الدلالية المستخدمة لخلق النص عندما تقوم مجموعة هذه الموارد الدلالية بربط جملةٍ ما بجملة سابقة عليها(Halliday & Hasan, 1976:10). وإلى ذلك، أشار سعيد بحيري بقوله "والتماسك ليس ذا طبيعة نحوية فقط، بل له جوانب دلالية وتداولية" (المرجع نفسه : ١٠٩).

وصفوة القول، إنَ التماسك خاصية جوهرية من خواص النص على خلاف الاتساق (Coherence) الذي هو مظهر من مظاهر تقويم القارئ أو المتلقي للنص؛ التماسك أمر موضوعي يكمن في النص، بينما الاتساق فهو ذاتي يعود للمتلقي. وبهذا يكون التماسك هو التعبير السطحي لعلاقات التناسق، أي أنه أداة لتوضيح العلاقات المفهومية وجعلها واضحة بينة(Baker, 1992: 218).

٣- الحذف (Ellipsis): بعد نصي

ما دور ظاهرة الحذف في اتساق الكلام؟ وهل يمكن لشيء محذوف أن يربط بين أجزاء الكلام؟ وكيف يكون له دور في تماسك المعنى اللغوي؟

يعتبر الحذف أحد عناصر التماسك النحوي للنص الأكثر شيوعا، وهو كثير الوقوع في اللغة ويتباين كثيرا في تلويناته وأصنافه. وهو يعني "عدم ذكر شيء مّا" في النص؛ ولكن من دون أن يعني ذلك أن المتروك ذكره "ليس مفهوما" بل العكس هو الصحيح (Halliday & Hasan, 1976:142) لسبب بسيط هو أن اللغة لاتعمل في فراغ منعزل بل إن وظيفتها في ظروف الاستعمال الفعلية، قائمة على كونها نصاً بحيث إن الدليل المتوافر في النص، ليعين المتلقي على فهم جملةٍ ما، هو أكثر بكثير مما تحويه الجملة نفسها (المرجع نفسه). فمثلاً في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية 18(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ) لا مفرّ من فهم "شهد الملائكة وشهد أولو العلم" بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: (لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى (حسان، 1998: 34).

والعنصر المحذوف "إذا جاز التعبير هو الذي يترك فراغاً في التركيب يملأ من مكانٍ ما؛ وهو يشابه الاستبدال الذي يكون مقابله معلوما" (Halliday & Hasan, 1976:143) بسبب من الأثر المتمثل بوجود أحد عناصر الاستبدال الذي يرشد المتلقي في البحث عن العنصر المستبدل، بينما في الحذف لا شيء يعوض العنصر المحذوف؛ لأن الحذف لا يخلّف أثرا ولهذا يصطلح على الحذف بأنه استبدال من الدرجة الصفر، بمعنى أن العنصر المحذوف لا يعوض بعنصر آخر، بل أمره منوط للمتلقي الذي يعتمد على النص السابق في فهمه للعنصر المحذوف، وبالتالي إمكانية ملء الفراغ الناتج عن عدم ذكره(المرجع نفسه). وهذا يدل على أن الحذف مثل الاستبدال علاقة داخل النص وفيها يكون العنصر المفترض، في أغلب الحالات، موجوداً في النص السابق. وبتعبير آخر، إن وجود الدليل الذي يسبق العنصر المحذوف، ينشئ علاقة قبلية ذات مرجعية داخل النص. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة النحل الآية ٣٠: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا) فالمحذوف تقديره "أنزل" أو"أنزل ربنا" وفي ذلك مرجعيّة قبليّة بين المحذوف من الجملة الثانية وبين المذكور في الجملة الأولى. وليس للمرجعيه (أو للإحالة) الخارجية للمحذوف دور في تماسك النص لاعتماده على سياق الحال وليس على مادة النص (Halliday & Hasan, 1976: 144)؛ لأن الحذف يكثر في النصوص دون الجمل المنفصلة، والذي يساعد على ذلك هو أن النص بناء يقوم على التماسك والاتساق اللّذين يساعدان على الاختصار وعدم الإحالة بذكر معلومات فائضة (حسنين، 2005: 253).

وأهمية الحذف النصية تتأتى من أن التركيب اللغوي لعنصر ما لايبين ولا يعرض كل اختيارات المعنى الكامنة فيه، وبالتالي يحدث الحذف ليبين بعض خواص بنيته وتركيبه. وبعبارة أخرى، يحدث الحذف عند إغفال ذكر العنصر المهم والضروري من الناحية التركيبية (Halliday & Hasan, 1976:144).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما من جهة تقسيم الحذف فهو عند هاليدي و حسن، أما اسمي أو فعلي أو عباري (المرجع نفسه: ١٤٦) على أن الأمر ليس كذلك في العربية، وبالأخص في القرآن الكريم، فالحذف يشمل طائفة واسعة جدا لاتقتصر على ماذكره هاليدي، بل يندرج تحت فئات عديدة، مثل: الحركات والحروف والمفردات وحذف الجمل بتقسيماتها العديدة، كجملة القسم وجملة جواب القسم، وحذف جملة مقول القول وغيرها، فضلا عن حذف أكثر من جملة.

٣- ١ دور الحذف في التماسك

عمل الحذف في التماسك يتم من خلال التكرار الحاصل بين المذكور والمحذوف اللّذين يُشترط أن يكونا من لفظٍ واحد أو مترادفَين أو أحدهما متعلق بالآخر، وكذلك في الإحالة إذا ما كانت بعدية أو قبلية (Halliday & Hasan, 1976: 144، حيث تكثر القبلية في القرآن الكريم؛ فضلا عن وجود الدليل أو القرينة التي تشير إلى العنصر المحذوف. والقرينة هي المرشد للقارئ كي يهتدي إلى إيجاد المحذوف وكيفية تقديره، واختيار مكان التقدير. وللمخاطب دور مهم في تعامله مع ظاهرة الحذف عن طريق مايحمله من خبرات وتراكم معرفي لاستكمال العناصر المحذوفة في النص وتبيان مواقعها وقيامها بالوظيفية البلاغية والنصية. فالحذف النصي يقوم على الربط بين النص والمقام، وهذا الدور يأتي من فهم السياق وتأويل المتلقي.

وتتناول دراستنا سورة يوسف باعتبارها نموذجاً للحذف في القصص القرآني منطلقين من افتراضٍ أساسيَ هو: أن وحدة الموضوع واستثمار الاحالة الضميرية في هذه السورة يؤدي إلى تقليل دور الحذف في تماسك النص، بمعنى أنهما يعوضان عنه ويساهمان في تماسكه.

٤ - سورة يوسف: أنموذجاً للحذف في القصص القرآني

شغل القصص القرآني أكبر مساحة في القرآن الكريم لكون القصة إحدى وسائله لإبلاغ الدعوة وتثبيتها. وقد ساق القصص القرآني أحداثه المألوفة في قالب فني يتسم بقدر غير قليل من الجدّة اللافتة، إذ لوكان القرآن جديدا تماما بالنسبة إلى العرب لما فهموه ولا وعوه ولا آمن به بعضهم، إنما كان القرآن جديداً في أسلوبه، وفيما يدعو إليه وفي التشريع (قطب، 2002: 143) . ويتميز القصص القرآني بميزات عديدة تناولتها دراسات كثيرة على المستويين البلاغي واللغوي، منها على سبيل المثال لا الحصر: التصوير الفني في القرآن (سيد قطب، ٢٠٠٠)، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (عبد الكريم الخطيب، ١٩٧٥) و الفن القصصي في القرآن الكريم (محمد أحمد خلف الله، ١٩٩٩) والصورة الأدبية في القرآن الكريم (صلاح الدين عبد التواب ١٩٩٥).

وسورة يوسف مكية تتكون من مائة وإحدى عشرة آية. وهي تعتبر، على خلاف غيرها من القصص الأخرى المذكورة في القرآن، أكثر القصص بسطاً وتفصيلاً من حيث إيرادها بتمامها وبطولها في سورة واحدة. والأمر الثاني الذي تفردت به هو أنها تقوم على وحدة موضوع ذات حبكة قوية بدأت بالرؤيا وانتهت بتأويلها، فاكتملت ببنية وظيفية واحدة متماسكة ترابطت الوظائف فيها ترابطا أدى إلى تناميها صعودا بحيث تتناسل اللاحقة من السابقة حتى اكتمال القصة (خضر، 2004: 41). أي أن بناءها القصصي تميز بالإحكام

من حيث وحدة الموضوع وإحكام التصميم وجودة الحبكة والانفتاح بالحوادث الاستطرادية (خلف الله، 1999: 320). ومن وجهة نصية، أن لآليات الربط النحوي (حذف، واستبدال، وإحالة وربط) والمعجمي (اللّذين هما التكرار والتضام) دورا في هذا الإنتاج المحكم.

ولأن السورة مقسمة إلى وحدات أو حلقات حيث تحتوي كل حلقة على جملة مشاهد، فقد تميزت بوجود فجوات بين المشهد والمشهد يملؤها تخيل القارىء وتصوره ويكمل ما حذف من حركات وأقوال، لأن هذه الفجوات هي من الأساليب البنائية للقصة القرآنية، التي يتميز بها جميع القصص القرآني على وجه التقريب (قطب، 2002: -189 187). ولأنه ليس من طبيعة القصص القرآني ذكر جميع التفاصيل المتعلقة بالقصة، فهنا يأتي دور الحذف، لأن القرآن كان يلقي على القوم إلقاء، ووضحت في قصصه أساليب الحديث والمشافهة خاصة في مبدأ القصة (خلف الله، 1999: 337).

٤- ١ التحليل والمناقشة

وباعتبار السورة كلها نصاً واحداً يتكون من نصوص فرعية هي الآيات، سنعرض وقوع الحذف في الآيات حسب نوعه: فعلي، اسمي أو عباري. منطلقين من اعتبار الآيات نصوصاً تتكون من جمل، لتبيان المحذوف والدليل عليه، وعلاقته هل هي سابقة أم لاحقة؟ وأخيرا مستوى التماسك الذي ينتجه. فهدفنا هو التركيز على معرفة تأثير كل من وحدة الموضوع والإحالة الضميرية في مقدار مساهمة الحذف في تماسك النص.

ولن نركز في تحليلنا على الحذوفات التي تتطلبها الصناعة النحوية؛ لأن إدراك المعنى لا يتوقف على تقدير تلك الحذوفات وإنما هو تام بدونها (حمودة، 1999: 122). ولن نركز أيضا على الحذوفات التي يتطلبها سياق الحال لتعلقها بالحذف الدلالي، إن جاز التعبير، الذي أساسه إكمال البيانات والمعلومات غير المذكورة في النص التي تفهم من سياق الحال (context of situation). لكننا سنتعرض لهذا الموضوع بإيجاز في خاتمة تحليل السورة من جهة صلته بالمتلقي ودروه في فهم الخطاب والتواصل معه. وفي كلتا الحالتين – الصناعة النحوية وسياق الحال- لاتؤثر هذه الحذوفات في تماسك النص لانعدام وجود الدليل عليها في داخل النص حسب مفهوم هاليدي للحذف.

وفيما يلي استعراض فيما يلي المحذوفات مقسمة حسب أنواعها: فعلية، واسمية، وعبارية.

حذف الفعل:

الآية ٩: المحذوف (قَالُوا) أي إخوة يوسف، ودليله في الآية (٨) ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ٣٩: المحذوف: (قَالَ يوسفُ): يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ، ودليله (قال) في الآية (٣٧) ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة نصية.

الآية ٤١: المحذوف: (قَالَ يوسفُ): يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ، ودليله (قال) في الآية (٣٧) ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة نصية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الآية ٤٣: المحذوف: و(إِنِّي أَرَى): سَبْعَ سُنْبُلاتٍ، ودليله (إِنِّي أَرَى) في نفس الآية، ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

----- : المحذوف: (قَالَ الْمَلِكُ): يَا أَيُّهَا الْمَلأُ، ودليله قَالَ الْمَلِكُ في نفس الآية، ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ٤٦: المحذوف: (وقَالَ): يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ، ودليله: وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا (الآية ٤٥)، ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة.

الآية ٨١: المحذوف: (قَالَ كَبِيرُهُمْ): ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ، ودليله: قَالَ كَبِيرُهُمْ (الآية ٨٠)، ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة.

الآية ٨٧: المحذوف: (قَالَ): يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا، ودليله: قَالَ (الآية ٨٦)، ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ١٠١: المحذوف: (قَالَ) أي قال يُوسُفُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ، ودليله: قال(الآية ١٠٠) ومرجعيته داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

حذف الاسم:

الآية ٣٥: المحذوف: ثم بدا لهم (رأي أو أمر)، ودليله: مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ، نفس الآية، مرجعية داخلية لاحقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ٤٣: المحذوف: سبع (بقرات) عجاف، ودليله (بَقَرَاتٍ سِمَانٍ). نفس الآية، مرجعية داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ٤٤: المحذوف: قالوا (رُؤْيَاكَ)، ودليله: أَرَى/ رُؤْيَايَ (الآية ٤٣)، داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

الآية ٤٨: المحذوف: سَبْعٌ (سِنِين) شِدَادٌ، دليله: سِنِين (الآية ٤٧)، داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة.

الآية ٦٣: المحذوف: نَكْتَلْ (كيلاً)، دليله: الْكَيْلُ (الآية ٦٣)، داخلية سابقة على مستوى جملتين نصيتين.

حذف العبارة:

الآية ٤٠: المحذوف: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ، ودليله: يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ. الآية ٣٩، مرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة. الآية ٨١: المحذوف: صُوَاعَ الْمَلِكِ، ودليله: صُوَاعَ الْمَلِكِ. الآية ٧٢، مرجعيته داخلية سابقة على مستوى أكثر من جملة

٥ - المناقشة

اتخذت هذه الدراسة من سورة يوسف نصاً مؤلفا من وحدات هي الآيات فركزت على الحذف داخل الآية باعتبارها نصاً ترتبط مع ماقبلها ومابعدها، نحويا ودلاليا، وليس باعتبار كونها جملا مستقلة. ومن هذه الزاوية نظرنا في الحذف من هذا الباب، وحاولنا تبيان موقعه وصلته والدليل على المحذوف من جهة علاقته به سابقاً أو لاحقاً، إضافةً إلى مرجعيته ومستوى التماسك. وهذا أمر لم تتنبه الدراسات التي تناولت الحذف في سورة يوسف على حد علمنا.

والعلاقة بين المحذوف ودليله كانت كلها، إلا في موضع واحد، هي من نوع العلاقات السابقة، بمعنى وقوعها قبل المحذوف في النصوص التي تأتي قبلها (أي الآيات) ولذلك كانت المرجعية أي الإحالة على الدليل داخلية، وهو ما

ساعد على تماسك النص؛ لأن الإحالة الخارجية لوقوعها خارج النص، ليس لها صلة بتماسك النص وأخيرا باتساقه.

وبناء على ماسبق، بدت السورة نصاً واحداً تألف من نصوص ارتبط بعضها ببعض برابطين: أولهما الوحدة الموضوعية للأحداث التي ارتكزت على الرؤيا في بدايتها، وانتهت بتأويلها في نهايتها؛ وثانيها رباط محورية شخصية نبي الله يوسف- عليه السلام- التي ظهرت حاضرة في كل المواقف بصفة مباشرة أو غير مباشرة؛ لأن سردية القصة تطلبت دوران جميع الأحداث حوله (سطوف، 2010: 24).

واعتمادا على هذه النتيجة أعلاه، يمكننا تفسير سبب قلة الحذف النصي في هذه السورة كالآتي. ارتباط أحداث السورة ارتباطاً محكماً حول موضوع القصة (الرؤيا) وشخصيتها المحورية (يوسف)، فلم تتشعب كثيراً، وتنتقل من موضوع إلى آخر لتحتاج بذلك إلى الإكثار من الحذف مثلاً لربطها. أي أن الوحدة الموضوعية للسورة أنتجت نصا محكم الشد والربط، ظهر ذلك واضحا في حبكتها المتماسكة المتسقة الخالية من الاستطرادات (Mir 1986:٢)، خاصة أن السورة استخدمت طريقة اللف والنشر على العكس ("involution& evolution in reverse") في بناء أحداثها، بمعنى أن تفسير رؤيا الملك وهي متأخرة في القصة يتم تفسيرها مبكرا في السورة، بينما نجد أن رؤيا نبي الله يوسف- عليه السلام- المذكورة في بداية السورة يتم تفسيرها في آخر السورة (المرجع نفسه). إن تداخل أحداثها هو جزء آخر من أجزاء حبكتها بحيث أصبح من غير الممكن إسقاط أي منها ولو كان طارئاً على السرد؛ لأن القصة ستنهدم وتتصدع (سطوف، 2010: 92). وهذه التقنية السردية بفضل وحدة موضوع السورة ساهمت مساهمة كبيرة في ترابط النص ربطا محكما وعملت على تماسكه واتساقه. وفي هذا إثبات لصحة الفرض الأول بأن عدم تعدد موضوعات السورة يسهم إلى حد كبير في تقليص دور الحذف في تماسك النص؛ لأن وحدة موضوع السورة قامت مقامه؛ غير أن الأمر يحتاج لدراسة قصص قرآنية أخرى لتبيان مدى استخدام نفس هذا المبدأ في صياغة النص والتعويض عن استخدام الحذف.

أما بخصوص الفرض الثاني المتعلق باستثمار الإحالة الضميرية، وجدنا أن الضمائر المستترة في هذه القصة في مواضع كثيرة، وعلى وجه الخصوص الفاعل منها، قد أدى تقريباً مقام الحذف؛ لأن الضمائر تجيء لتحل محل الأسماء الظاهرة للاختصار والإيجاز ولتقوم بأداء المعنى، فضلاً عن أن استتار الضمائر يكون تخفيفاً من إطالة العنصر اللغوي جملةً وتركيباً (أحمد عفيفي 1996: 344). ففي حساب إحصائي بسيط، تكرر استخدام الضمائر المستترة في هذه السورة ستين مرة، إذ ورد الضمير العائد على نبي الله يوسف- عليه السلام- تسع عشرة مرة في الآيات (٤، ٩، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٤٢، ٣٧، ٥٠، ٤٧، ١٠٠، ٩٢، ٩٠، ٨٩، ٧٩، ٧٧، ٦٩، ٦٢، ٥٩، ٥٥). أما الضمير العائد على نبي الله يعقوب- عليه السلام- فقد ورد اثنتي عشرة مرة في (٥، ١٣، ١٨، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٨٣، ٨٤،

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

٨٦،٩٤،٩٦،٩٨). وأخيرا، استعمل الضمير العائد على أخوة يوسف- عليه السلام- اثنتان وعشرون مرة (٨،١١،٩،١٠،
١٧،١٤،
٨٨،٨٥،٨١،٨٠،٧٨،٧٧،٧٥،٧٣،٧١،٦٥،٦٣،٦١،
٩٧،٩٥،٩١،٩٠). وإذا علمنا أن المخاطب يفهم بلا أدنى صعوبة هذه الاحالات الضميرية وعائديتها على فواعلها، اتضح جليا دور هذه الإحالات بالاستغناء عن ذكر الفاعل وعدم تكراره وبالتالي تماسك النص واتساقه؛ لأن هذه الإحالات تشير، في نهاية المطاف، إلى علاقة داخل النص تقوي ارتباط أجزائه بعضها ببعض (Halliday& Hassan 1976:88).

ويعتبر استخدام الضمائر المستترة خاصية من خواص لغة الحوار السردية الواضحة والجليّة في القصة؛ لإن هذه الضمائر المستترة أغنت المشهد الحواري من جهة واستغنت من جهة أخرى، عن استخدام الحذف كثيراً في التماسك النحوي للنص. وغني عن الذكر، أن الحوار هو "جزء من اللغة القرآنية التي تقوم على الإيجاز، وتوافق الفواصل"، المتميز بكونه "حوار ملخص رغم ظاهره المشهدي" (يوسف، 2010: 138) بمعنى آخر إن الحذف في السرد هو غالبا حذف ضمني لايخل أبداً بالمعنى (المرجع نفسه).

وهكذا يتضح لنا صحة الجزء الثاني من فرضيتنا المتعلقة باستثمار الإحالة الضميرية باعتبارها أداة تماسك نصي في تفسير قلة ورود الحذف النصي في هذه السورة، الذي بلغ أربع عشرة آية من مجموع مائة وإحدى عشرة آية. فهل يمكن تطبيق هاتين الفرضيتَين على سور أخرى في القرآن؟ والإجابة عن تساؤلنا هذا يحتاج إلى دراسة معمقة ومستفيضة لقصص أخرى من القرآن.

نخلص إلى القول بأن الحذف النصي هو أقل أنواع الحذوفات في قصة يوسف بسبب طبيعة اللغة العربية من جهة، وأسلوبية القصص القرآني من جهة أخرى. فباب الحذف في العربية واسع ومجالاته عديدة، وليس بالضرورة أن يتطابق مع مفهوم علم اللغة النصي في منهجه الغربي تحديداً؛ لأن هناك دلالات أخرى، غير الدلالات المقالية، كالعقلية والشرعية، والحالية فضلاً عن أدلة العادة الدالة على الحذف وتعيينه (العز بن عبد السلام، 1999).

٥- ١ حذف الجمل: دلالات سياق الحال ومكانة المخاطب

لقد وردت في القصة محذوفات لايمكن فهمها وتقديرها إلا من خلال سياق الحال الذي يمد المتلقي بالمعلومات اللازمة لتقدير المحذوف وفهمه؛ لأن الدليل على المحذوف غير موجود في داخل النص. والمتتبع لمواضع حذف الجمل في القرآن الكريم يدرك كثرة الحذف حيثما تستطيل الجملة (عبدالتواب، 1995: 140)، مثل حذف جملة الصلة، وكذلك الجمل في أسلوبي الشرط والقسم لاسيما إذا اجتمع معهما العطف. ويكثر هذا الحذف في القصص القرآني بغية الإيجاز والاختصار ولعلم المخاطب بها. وفي قصة يوسف، فالسورة حافلة بحذف مايقتضيه السياق، من بدايتها إلى نهايتها، من هذا النوع من الحركات النفسية والعضوية على حدٍ سواء (المرجع السابق: ١٤٩- ١٥٠).

والعرب لم تكن لديها أدنى مشكلة في فهم المحذوف أيا كان نوعه؛ لأنها كانت ترى الحذف من الفضيلة البيانية متى قامت الدلائل على ذلك المحذوف ولو كان من أجزاء الجملة ومقوماتها (أبوموسى، 1996 : 153). وفي هذا الصدد يقول الجاحظ: "وَرأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام" (الجاحظ، ١٩٦٥ : ١/٩٤). يعني إن القرآن في عرضه هذه الصور الموجزة إنما يعتمد على ذكاء قارئه أو سامعه، ولايكلفه مشقة في إدراكها بسبب توافر القرائن اللفظية منها والحاليّة (العوادي، 2011: 88) التي يعول عليها "حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"_(حمودة، 1999: 100) فيعمل على تقدير المحذوف وملء الفراغ في العبارة. ونجد في الكتاب أمثلة كثيرة عن الحذف يجمع فيها سيبويه بين التفسير اللغوي و ملاحظة السياق حيث يتوسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها التي تمثل جملاً غائبة، فمن آرائه في ترك المحذوف لعلم المخاطب به (عطية، 1997 : 109). وفي هذا السياق، نرى أن الحذف لايرقى إلى المرتبة من التأثير والبلاغة التي ذكرها الجرجاني حين قال: (هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ) إلا حين يطابق سياق الموقف فضلاً عن وضوح المعنى المراد من خلال الدلائل السياقية، فإذا غابت هذه الدلائل اختل المعنى (حسان، 1993 : 559؛ عطية، 1997 : 405-407).

أما تقدير هذا النوع من المحذوفات فكان يخضع لقدرة المفسر معتمداً على ثقافته لإظهار براعته في كشف المعنى، ويتجلى هذا الحذف في استرجاع سياق النص القرآني المحذوف في القرآن أكثر من سواه (صخي، 2012: 3). وسنكتفي بذكر بعض من هذه الحذوفات سواء على مستوى الجملة الواحدة أو أكثر من جملة، التي تناولتها دراسات المتقدمين والمتأخرين.

- الآية ٤ : حذف يتعلق بجملة الاستفهام بدلالة الجواب عليه. ففي هذه الآية مثلا، عند قول يوسف- عليه السلام- لأبيه (إِنِّي رَأَيْتُ)، كأن يعقوب قال له كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها فقال يوسف (رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (مصطفى، 1981 :184؛ النجار، 2008 :130).

- بين الآيتين ١٠- ١١، هناك كلام محذوف تقديره: فأطاعوه ودبروا كيدهم فذهبوا إلى أبيهم. وكذلك بين الآيتين ١٤- ١٥ تقديره: حذف جواب الطلب والتقدير فأمنهم على أخيهم وأرسله معهم بدلالة الآية ١٥ فلما ذهبوا به (حسان، 1993 : 552-660).

- في الآية ١٩ وداخل نص الآية نلحظ حذف جمل كثيرة وجاءت سيارة (من الناس فوجدوا حاجة للماء) فأرسلوا واردهم (ليأتيهم ببعضه) فأدلى دلوه (فتعلق يوسف بالدلو فأخرجه الرجل من الماء فلما رآه) قال يابشراي هذا غلام (وعرضه على رفاقه فتشاوروا في أمره فقرروا حمله معهم) (المرجع نفسه).

- وكذلك في نص الآية ٢٠ (ثم واصلوا السير حتى إذا وصلوا لمصر عرضوه للبيع) وفيه نجد "أن إيضاح الواضح إطالة غير مستحبة" (المرجع نفسه).

وفي الآية ٢٥ : ألفيا سيدها لدى الباب فرابه أمرهما، وقال: مالكما؟ فلما سأل وقد خافت لومه أو يسبقها يوسف بالقول، بادرت بقولها: (مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) (النجار، 2008: 133).

وبين الآيتين ٣٥- ٣٦: ففي قوله تعالى (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) و (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ) فبين جملة (ليسجننه) وجملة (دخل معه السجن) جملة محذوفة لا داعي لذكرها وهي فقرروا سجنه وأدخلوه السجن ودخل معه السجن لدلالة ما قبلها وما بعدها عليها. وكذلك في الآية ٤٥ المحذوف جمل كثير من السياق مع الآية التالية ٤٦ وهي حذف جملة جواب فعل الأمر(أرسلون) فابعثوني إليه لاستعبره الرؤيا فأرسلوه وذلك اختصاراً، مع دلالة ما بعدها عليها.

وفي الآية ٤٦ : حذف مفعول علم وتوابعه تقديره (لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصوك من محنتك (الزمخشري، ١٩٩٨ :٤٧٦/٣). وهو من الحذف اختصاراً وقرينته العلم بالمحذوف من السياق.

ويصدق القول أيضا على الآيات التالية ٤٧- ٥٠ ؛ ٥٠- ٥١ ؛ ٥٤؛ ٩٨- ٩٩.

فكل الجمل التي حُذفت من سياق الآيات، إنما هي جمل متممة لمعاني الآيات؛ لأن الإطالة والإطناب يؤدّيان إلى الخلل والنقص وليس هذا من أسلوب القرآن القصصي القائم على الإيجاز المؤدي إلى جلاء المعنى ووضوحه وفهمه من خلال السياق (مصطفى، 1981: ٣١٠) .

٦- الخلاصة:

تبين من تحليل السورة أنه كلما قلت موضوعات السورة، قلت الحاجة إلى استخدام الحذف في تماسك النص. ففي سورة يوسف قصة متكاملة، كان فيها لوحدة الموضوع، ومحورية الشخصية الأثر المهم في تماسكها باعتبارها نصاً واحداً لم تتعدد موضوعاته وتتشعب، بل دارت كلها على محور واحد هو رؤيا يوسف- عليه السلام- وتفسير هذه الرؤيا ؛ وهو ما ساعد على إحكام شد أحداثها وربطها. وهكذا بفضل وحدة الموضوع، قلَ استخدام الحذف كثيرا في هذه السورة. وهو مما يؤيد افتراضنا من أن عدم تشعب موضوع القصة يجعلها أقل ميلا لاستخدام الحذف، باعتباره أداة تماسك نصي.

والأمر الثاني من الفرضية، هو تقلص دور الحذف بسبب الاستثمار الأمثل في الإحالة الضميرية التي أغنت عن تكرار الفواعل، خاصة فواعل فعل القول، إذ بلغت الإحالات الضميرية ستين إحالة تعود على فواعل الشخص الثالث الغائب مفردا وجمعا. هذا إذا علمنا أن الضمائر المستترة ليس لها مقام في الحذف وفق التصور الغربي لتماسك النص. ويتطلب الأمر دراسة قصص القرآن الأخرى لمعرفة إمكانية تعميم هذه النتائج.

وفي كلتا الحالتَين، تدعو الحاجة لإجراء دراسات وبحوث مستفيضة عن الحذف في قصص أخرى من القرآن لتبيان إمكانية تطبيق هاتين الفرضيتَين منطلقين من أن وسائل

التماسك النصي (ومن بينها الحذف) في المفهوم الغربي للسانيات النص ليست بالضروة تنطبق على القرآن؛ لأن للقرآن وسائله وآلياته النصية أيضا التي يتفرد بها في بناء تماسكه واتساقه. كثرة حذف الفعل (انظر: التحليل والمناقشة) وعلى وجه الخصوص فعل القول لدلالة الفعل وأثره في السرد الحواري في هذه السورة.

يتباين تقدير حذف سياق الحال حسب اختلاف المفسرين. وهذا النوع من الحذف السياقي لايساهم في تماسك النص؛ لأن ذكره أو عدمه لايؤثر في فهم الخطاب الذي يدركه المتلقي. لكن يبقى لسياق الحال دوراً مهماً جداً في تفسير حذوفات الجمل الطويلة في السورة؛ التي لم تتعدّ الآيات التالية (الآيات ١٤، ١٨، ٢٣، ٩٤).ولمتلقي النص دور في فهم الحذف سواء الذي اعتمد على سياق المقال أو سياق الحال؛ لأن النص القرآني كان خطاباً شفاهياً موجَها عن طريق رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم- إلى العرب مستخدماً آليات لغتهم ووسائلها، ولذلك لم يجدوا أي مشقة في فهمه واستيعاب مضمونه.

وأخيرا، لأننا ركزنا في دراستنا هذه على الحذف فقط، نجد ضرورة القيام بدراسات إضافية تتناول أدوات التماسك الأخرى النحوية والمعجمية على حد سواء لمعرفة دورها وتحديد أهميتهما في تماسك النص.

المراجع:

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت٣٢١ هـ)، جمهرة *اللغة*، تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي، ط 1، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢ هـ) . *الخصائص*، ج٢، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية، د.ت.

أبو المكارم، علي، *الحذف والتقدير في النحو العربي*، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

أبو شادي، مصطفى عبد السلام، *الحذف البلاغي في القرآن الكريم*، القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

أبو موسى، محمد محمد، *خصائص التراكيب: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني*، ط4، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٦ م.

الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن هشام، مغني *اللبيب عن كتب الأعاريب*(ت٧٦١ هـ) تحقيق وشرح عبد اللطيف **محمد الخطيب**، ط١، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية ٢١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

بحيري، سعيد حسن، *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*، ط١، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، ١٩٩٧ م.

برامو، بو شعيب، "ظاهرة الحذف في النحو العربي: محاولة للفهم"، *مجلة عالم الفكر*، المجلد 34، العدد (٣) (٢٠٠٦ م)، 43-67.

بوجراند، رويرت، *النص والخطاب والإجراء*، ترجمة الدكتور تمام حسان، ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨ م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥ هـ)، *الحيوان*، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٥ م.

جاد الكريم، عبدالله، *الاختصار سمة العربية*، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٦ م.

الجرجاني، عبدالقاهر بن عبد الرحمن محمد، (ت ٤٧١ هـ)، *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤ م.

الجنابي، زهراء ميري حمادي، *الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم*، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

حسان، تمام، *البيان في روائع القرآن*: *دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني*، ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣ م.

حسنين، صلاح الدين صالح، *الدلالة و النحو*، ط1، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥ م.

حمودة، طاهر سليمان، *ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي*، الإسكندرية، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م.

خضر، محمد مشرف، *بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم*، رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٤ م.

خطابي، محمد، *لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص*، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١ م.

الخطيب، عبد الكريم، *القصص القرآني في منطوقه و مفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم و يوسف*، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٥ م.

خلف الله، محمد أحمد، *الفن القصصي في القرآن الكريم يليه عرض و تحليل* بقلم خليل عبد الكريم، ط٤، بيروت، سينا للنشر/مؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٩ م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، (ت ٧٩٤ هـ)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٩٥٧م.

الزمخشري، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨ هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل*، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ م.

الزناد، الأزهر، نسيج النص: *بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً*، ط١، بيروت المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣ م.

السامرائي، فاضل صالح، *الجملة العربية: تأليفها وأقسامها*، ط2، عمان، دار الفكر ناشرون وموزعون، ٢٠٠٧ م.

سطوف، عزوز، *بلاغة مقام القص القرآني*: *سورة يوسف أنموذجاً*. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة منتوري. قسنطينة، ٢٠١٠ م.

سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان قنبر، (ت ١٨٠ هـ)، *كتاب سيبويه*، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٩٨٨ م.

صخي، أحمد رسن، "الحذف رؤية قرآنية"، *مجلة آداب البصرة*، العدد(٦١)، (٢٠١٢)، ١- ٢٥.

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد التواب، صلاح الدين، *الصورة الأدبية في القرآن الكريم*، ط١، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، ١٩٩٥م.

عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، (ت ٦٦٠ هـ)، *مجاز القرآن أو الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز*، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي ١٩٩٩ م.

عبد المطلب، محمد أحمد، *البلاغة والأسلوبية*، ط١، القاهرة، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)، ١٩٩٤م.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ ه)، *لسان العرب*، تحقيق أمين عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٩ م.

عطية، مختار، *الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: دراسة بلاغية*، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧ م.

عفيفي، أحمد، *ظاهرة التخفيف في النحو العربي*، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦ م.

عفيفي، أحمد، *نحو النص*، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١ م.

العوادي، أسعد خلف، *سياق الحال في كتاب سيبويه: دراسة في النحو والدلالة*، ط١، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠١١ م.

عوض، يوسف نور، *نظرية النقد الأدبي الحديث*، ط١، دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٩٩٤ م.

قطب، سيد، *التصوير الفني في القرآن الكريم*، ط١٦، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢ م.

مصطفى، محمود السيد حسن، *الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية*، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١ م.

النجار، نادية رمضان "الدلالة التركيبية في النظرية والتطبيق: سورة يوسف نموذجاً"، *مجلة علوم اللغة*، المجلد، ١١، العدد(٣)، (٢٠٠٨ م)، ١٠١- ١٦٦.

يوسف، رياض، *أدبية السرد القرآني: مقاربة من منظور علم السرد*، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٠ م.

المراجع الأجنبية:

Baker, M. *In Other Words: A course book on translation*, London: Routledge, (1992).

Halliday, M.A.K & Hasan, R. *Language, context and text: Aspects of language in a social semiotic perspective*. Oxford: OUP, (1989).

Halliday, M.A.K. & Hasan, R. *Cohesion in English*. London: Longman, (1976).

Mir,M. *The Qur'an story of* **Joseph**: Plot, *Themes, and Characters*. The Muslim World, (1986), 76(1), 1-15.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Rahman, Y. ***Ellipsis in the Qur'an****: A study of Ibn Qutayba's Ta'wil Mashkil al-Qar'an*. In I.J.Boullata (Ed.), *Literary Structures of Religious Meaning in the Qu'ran*, 277-291, London & New York: Routledge, (2000).

Solimando, C. *Ellipsis in the Arabic Linguistic Thinking (8th–10th century)*. In G. Lancioni & L. Bettini (Eds.), The Word in Arabic, 85-108. Leiden, Boston: Brill, (2011).

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

مجلة الآداب

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الملك سعود

أبحاث العدد:

- الواقعية النقدية في أعمال المنفلوطي السردية: المقال والقصة القصيرة أنموذجا "دراسة وتحليل"
  صالح بن عبدالله بن عبدالعزيز الخضيري
- الحيافة والحنشلة قبل تكوين الدول المعاصرة — فضل بن عمار العماري
- الرؤية الاستشرافية في شعر لبيد بن ربيعة العامري، المعلقة أنموذجا — محمد عبدالله منور آل مبارك
- مظاهر من المفارقة الممتدة في القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام أنموذجاً — عادل حسني يوسف
- صورة هارون الرشيد بين تمثيل التاريخ وتخييل الأدب — هيثم سرحان
- تداخل المعنى الوظيفي في الجملة عند النحاة (الجملتين البدلية والتفسيرية) أنموذجا — يوسف بن محمود فجّال
- أثر المقام في البناء النحوي عند عبدالرحمن العشماوي — حنان أحمد عبدالله الفياض
- من مظاهر التماسك النصي في القصص القرآني: الحذف في سورة يوسف نموذجا
  زيد شهاب العامري وهشام سليمان اليوسف
- بينا وبينما في الدرس النحوي — رياض رزق الله منصور أبو هولا
- إدارة المخاطر الاجتماعية كنموذج حديث في سياسات الرعاية الاجتماعية — مجيدة محمد الناجم
- اتجاهات حركة النشر العلمي بجامعات المملكة العربية السعودية: قراءة تحليلية اجتماعية — عائشة التايب
- حريقا المسجد النبوي (٦٥٤هـ/١٢٥٦م - ٨٨٦هـ/١٤٨١م) — عبير حسين الطويهر
- تأثيرات وسائل الإعلام ودورها في زيادة الوعي الصحي لدى المجتمع السعودي (دراسة مسحية)
  نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود
- الأبعاد المكانية للخدمات التعليمية في محافظة أبين - الجمهورية اليمنية — أمين علي محمد حسن

المجلد ٢٦ - العدد ٣
التاريخ سبتمبر ٢٠١٤م ؛ ذو القعدة ١٤٣٥هـ
ردمد ١٠١٨-٣٦١٢

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

الجديد
NEW & EXCLUSIVE